

بسم الله الرحمن الرحيم

العلامة الشَّريف المُخَبِّت الحُجَّة

نسلُ السَّبْطَيْن وخادمُ الوحيَيْن

١٣٥٦ - ١٤٤٢ هـ

١٩٣٧ - ٢٠٢٠ م¹

بقلم المحب المجلُّ الشَّيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

في رثاء الشَّيخ العلامة المفسر المحدث الفقيه الشَّريف المُخَبِّت الحُجَّة

الأستاذ الدكتور الشَّيخ نور الدين بن محمد بن حسن عتر - رحمه الله تعالى -

❖ النبا المفجع:

لما فجعني نبأ وفاة الشَّيخ نور الدين عتر - رحمت الله عليه - انثالت على ذاكرتي صور كثيرة وذكريات غالية غزيرة، ودمعت العين لفقْد هذا الزَّين. هُرعت إلى المكان² الذي حوى هذا الإنسان المعطر المنور؛ وطمعت بالحضور لاعتقادي بأنه محضور بأهل النور، وليتوفر الحظ من عطاء السادة في الساعة الأخيرة وكان ما أمَّلتُ وحصل الأرب ونيل المطلب...!

❖ أوائل المعرفة بالعلم المبارك:

في جامع (ظبيان) وفي جامعنا (جامع الشمسية) في عام ١٩٧٨ من السنِّي الميلادية أذكر رؤيته - رحمه الله - وسماع بعض إرشاداته وهي مقتضبة، وكانت النفس تمتلئ برؤيته ورؤية

¹ كتبوا ولا زالوا يكتبون وتحذثوا ولا يزالون يتحدثون عن العَلم الراحل، وهذه مشاركة وومضات، وغيض من فيض فضله - رحمه الله -.

² في مشفى (الفيحاء) حيث قضى فيها نخبه أيضاً سيدي العارف الكبير الشَّيخ شكري - رحمه الله عليه - فذكرتُ حين دخولي إلى الشَّيخ نور الدين تلك الساعة ساعة دخولي على سيدي الشَّيخ شكري فور خروج الطبيب من غرفته قائلاً: أعظم الله أجركم !!

فبالله عليكم يا من يمرُّ بجوار هذا المشفى دائماً اقرؤوا الفاتحة لهذين العَلمين المشتهرين بالعلم والولاية، وهبُوها لروحيهما الطاهرتين.

شيخنا الدكتور محمد فوزي فيض الله - رحمه الله - ³ في جامع ظبيان ، وكان يصلي في الجامع نفسه أيضاً جارهم في الشام وبلدئهم من حلب فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الحجي الكردي - حفظه الله تعالى - .

❖ من أولياء الله تعالى :

أخبرني أخي الأستاذ الدكتور البراء فيض الله - حفظه الله - ولد شيخنا الدكتور محمد فوزي فيض الله - رحمه الله - أن والده كان يقول عن الشيخ نور الدين: من أولياء الله تعالى، وكان شيخنا الشيخ فوزي يكبره بالسن ثنتي عشرة سنة.

وقدّر الله أن يتجاوز الشيخان الراحلان في المنزل: في حلب في حي (الإذاعة)، وفي الشام في حي (المهاجرين).

وللاشتراك بينهما في عددٍ من الشيوخ كنت تعرف حال هذا من هذا، وحال هذا من هذا؛ ونعم العالمين الحجتين الخاشعين الكبيرين!

وأذكر هنا مما عرفته من الاشتراك في الشيوخ في حلب خاصة المشايخ الأفاضل: الشيخ عبد الله حماد، الشيخ محمد أسعد العبجي، الشيخ محمد السلقيني، الشيخ محمد راغب الطباخ، وفي المساجد: الأفاضل: فضيلة الشيخ نجيب سراج الدين، الشيخ سعيد الإدلي، الشيخ محمد جميل العقاد - رحم الله الجميع وزاد في أنوار ضرائحهم - .

وكان كل من الشيخين الراحلين يهوي إلى يد الآخر ليقبلها، وهكذا شأن الأكابر في معرفة الأقدار ، وتعظيم الحرم !

³ وقد أفردت كتاباً ألفته في شيخنا الدكتور محمد فوزي فيض الله - رحمه الله - طبع في دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى في سنة 1423 هـ - 2002 م في (174) صحيفة، وزدت صفحات عنه بعد وفاته نشرت في موقع (نسيم الشام).

❖ من شمائل هذا الشريف وُخِّلقه اللطيف :

حسن الجوار، والثناء على الجميل منهم ، ومعرفة حقهم من شمائل الأبرار، وشيم الأَكابر الأَطهار!

وأذكر قصةً ذكرها لي أخونا البراء فيض الله أن زوج الشيخ نور الدين - رحمه رب العالمين - لما دنا محاضها بولدها (يحيى) علم شيخنا الشيخ فوزي فيض الله، فهُرِع بالشيخ وأهله بسيارته إلى المشفى، ولما تم الوضع بسلامة قال الشيخ نور الدين لمسعفه وجاره الكريم الكبير شيخنا الشيخ فوزي: أنت الذي تسميه!

فسماه شيخنا: يحيى!

وكان من لطفه وحسن عشرته، وجميل أدبه أنه لا يدعوهُ إلا بأسماء:

سيدي أحمد يحيى حميد الدين!! لا يناديه إلا بذلك!

هذه أخلاقهم، وهذه شمائلهم، فأنعم وأكرم بها من شمائل!

وكان من الموافقات بين هذين الجارين العَلَمَيْن، أن الفارق في زمن الوفاة - في الحساب الميلادي - بينهما: يومان !

فشيخنا الشيخ فوزي - رحمه الله - توفي في يوم الاثنين ٢٥/٩/٢٠١٧ م، والشيخ نور الدين - رحمه الله - توفي في يوم الأربعاء ٢٣/٩/٢٠٢٠ م.

❖ الوفاء من شيم أهل الاصطفاء :

من أشهر شمائل أهل الله الوفاء! وأعتبر أن تسمية شيخنا الشيخ نور الدين ليكره (محمد مجاهد) بهذا الاسم من أشهر قصص وفائه، فقد انتفع أثناء وجوده في مصر للدراسة بشيخ جليل حدَّث عنه ولم يزل يحدث عنه حتى غادر الدنيا، وهو الشيخ العلامة الفقيه الجليل الشيخ مصطفى مجاهد وكان شافعي المذهب (ت ١٢٩٠ هـ). الذي كان له إقبال على طلابه، وله أثر كبير في تعليمهم كيفية الاستنباط من النصوص، ويستشير قرائهم بفتح باب النقاش.

وكان الشيخ مصطفى يثني على تلميذه نور الدين ويقول عنه إذا ذُكر: إنه فقيهٌ مجاهرٌ بالحق، لا يخشى في الله لومة لائم .

وكان شيخنا الشيخ نور الدين إذا ذكره؛ قال: كان بمنزلة الوالد لي، يسألني عن دراستي وحياتي الخاصة.⁴

وسمعت منه - أنا الكاتب لهذه السطور - في بيته وبخاصة في زيارات الأعياد، كما سمع كثيرون - من الطلاب وغيرهم - الحديث عن شيخه الشيخ مصطفى بخاصة وغيره، مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب البحيري - رحمه الله - .

❖ من المبشرات الغاليات:

حدثني من أثق به عمن أعرفه أنه رأى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول له:

قل للشيخ نور الدين عتر أنت خادمي في الجنة!!
فما إن نَقَلَ له هذه البشارة العظيمة - ورؤيا رسول الله حق - حتى انكبَّ الشيخ نور الدين على الأرض باكياً شاكراً وحامداً!
أقول: حقاً إن الجزاء من جنس العمل؛ فهذا جزاء من يخدم سنة رسول الله بتحقيق كلامه، والغيرة على شرعه ونهجه!

❖ تعشقه للصالحين وزيارتهم:

أكرمني الله مرة بزيارة الشيخ في بيته في حِينَا في (المهاجرين) فحدثته عن صالحٍ عندنا وهو الشيخ مصطفى الترك - رحمه الله - أمَّ في مسجده (جامع القعقاع) في حي الصالحية - قريباً من جامع سيدي الشيخ الأكبر محمد محيي الدين سلطان العارفين - أربعين سنة.
قال لي الشيخ نور الدين - رحمه الله - نزوره!

⁴ انظر جمهرة الأزهريين الوسطى ص (472) اختصار وتهذيب الدكتور أحمد نوبى الأزهرى - الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - الناشر كشيدة العاشر من رمضان - مصر.

فلما دخلنا عليه - وكنت في خدمته - أنس به أنساً كبيراً، وكان في غاية الإجلال له، فقلت في نفسي لو يرى الناس كيف يكون احترام الأستاذ الجامعي العلامة الصالح للصالحين - وهو جالس بين يديه كالمريد بين يدي شيخه - لزاد إكبارهم للصالحين، ولزادت معرفتهم بأقدارهم عند رب العالمين، وشرع سيد المرسلين !!
ولما أوصلت الشيخ نور الدين - رحمه الله - إلى بيته بسيارتي قال لي: خذني لأمثال هذا!!
قلت هذه ثمرة العلم والمعرفة عند من اختصه الله بالعلم النافع!

❖ الموصوف بالخيرية على لسان خير البرية:

(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)

كلمات نبويات تكشف عن حال الخير الصالح حقيقة!
ما نفع أن أملاً الدنيا تحقيقات وفتاوى محكمات، ويشكو مني أقرب الناس إلي؟!
فاسألوا أهل الشيخ كيف كان! كيف كان لطفه وذوقه الرفيع في التعامل، وقد سمعت القريب منه يقول: كان الشيخ يثني عليها؛ وهو يقول عنها مجلاً معظماً: هي مظنة ولاية!

❖ من أشهر الخلال عند الرجال:

العناية بالوقت، واحترام الوعد فيه شيءٌ اشتهر به الأخيار، وشيخنا من هؤلاء، وعندما رثى من آخاه: جاره وهو شيخنا الشيخ الدكتور محمد فوزي فيض الله - رحمه الله - كان قد ذكر هذا الأمر معجباً به.

قال - رحمه الله - : طلبت منه موعداً للزيارة، وذهبت في الموعد المحدد إلى بيته في أقصى ما بلغه البنيان في مصر الجديدة، ووجدت على الباب بطاقة طبع عليها اسمه بحرف جميل وتحتته العبارة الآتية:

يستقبل زواره يوم الجمعة صباحاً من الساعة التاسعة إلى الحادية عشرة، ويعتذر سوى ذلك، فالواجبات أكثر من الأوقات. انتهى

واسألوا المخالط لخدمته عن مواعيد الشيخ -رحمه الله-، وكيف تهَيُّؤ الأَكابر لها وتعظيمهم لذلك!

❖ العالم الذاكر:

قلَّ أن نجد من يجمع الإمامة في العلم الشريف المتخصص وغشيان مجالس الذكر !! وكنا مرة في مجلس (النورية) بعد صلاة الجمعة فدخل الشيخ نور الدين بكل إجلال وتخشع، وانحنى على المعتقِّد الولي الكبير الشيخ شكري اللحفي -رحمه الله- وقبَّل يديه، وذاب مع الجَمع !!

هذا هو الصوفي الحق ! يعتقد أن أي مجلس يجد فيه قلبه فهو مرضيٌّ عند الله ورسوله ! وهذا الحال من ثمرات العلم النافع الشريف، وعلى هذا رُبِّي، وقد قال مرة: والدي - وهو الشيخ محمد - كان شيخ الطريقة الرشيدية !⁵ وقد اشتهر الشيخ -رحمه الله- بكثرة ذكره وصلاته على رسول الله، ووصيته بالصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ! وكان يطرب أيما طرب لإنشاد الخاصة، ويهوى بخاصة ما كان ينشد في مجالس شيخه الشيخ عبد الله سراج - رحمة الله عليه - وهو خير من يذكَّر بهديه وسمته ! فيا ربِّ انفعنا به.

❖ احتراقه على سنَّة رسول الله:

اشتهر الشيخ نور الدين - رحمت الله عليه - بخدمته لحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تأليفاً وتحقيقاً وتدريساً، وأذكر مثلاً على تتبعه لمن يكتب ويحقق في هذا المجال:

كان شيخه الذي كثيراً ما حدث عنه العلامة المحدث الشيخ محمد محمد السماحي - رحمه الله - (ت ١٤٠٤) قد كتب كتاباً فذاً سماه (المنهج الحديث في علوم الحديث).

⁵ أخبرني بهذا أخونا الأستاذ محمود البوطي.

يقول الدكتور أحمد نبوي الأزهري في غضون ترجمة مقتضبة للمحدث السماحي: قد أبدى شيخنا العلامة المحدث نور الدين عتر حسرةً وحنناً وألماً على الإهمال في طباعة هذا الكتاب، ويرى أن هذا الكتاب من الكتب المتقنة المحبوبة التي حررت علوم الحديث أتمَّ تحرير.⁶ فالشيخ همَّه وشغله الشاغل المقيم المقعد العناية بكلام الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم!

وهذه منقبة تكفيه؛ فكيف إن كانت كتاباته وعلومه ومعارفه عديدة، وكلها في غاية النفع.⁷ وبقي تدرسه إلى أن حَفَّتْ صوته، ولم تحمله رجلاه.⁸

❖ إحياءه للمناسبات الشريفة:

كنا نفرح في جامع (الشمسية) - وقد كان لأهله حظ من تدرسه وتوجيهه - عندما يدنو المولد الشريف، أو ليلة النصف من شعبان لنراه ونسمع كلماته ودعوته! ولا أنسى أمسيةً كانت تُقرأ في حضرته كلمات في شمائله - صلى الله عليه وسلم - فكان يجبس دمعاته وتغلبه، ويجبسها وتغلبه ويهتز وأنا عن شماله فيسري إليّ ما شعرت بأنه من أكرم وأنس ما يصل إليه المحبون المتعلقون بالنبي المأمون - صلى الله عليه وآله وسلم - ورضي عن هذا الوارث العاشق الكبير!

❖ رضاه عن مولاه:

حدثني أستاذنا المبارك المحقق الشيخ قاسم النوري - حفظه الله - أنه قصده من الشام في جمع منهم: الشيخ العلامة نعيم العرقسوسي - حفظه الله - إثر وفاة ولده مجاهد - رحمه الله -

⁶ ص(532) من كتاب جمهرة الأزهريين الوسطى، وأقول - إن لم يخرج هذا الكتاب - : هنيئاً لمن يُبرزه للناس، وينشره بين عشاق الحديث الشريف، ويسرُّ خاطر الشيخ في برزخه المنور.

⁷ وقد ذكر هذه التصانيف مع تفصُّلٍ مشكور أخونا المبارك الدكتور محمد عيد وفا المنصور - حفظه الله - في ترجمة للشيخ نشرها، وهو من خيرة من انتفع بالترجم.

⁸ آخر محاضرات الشيخ - رحمه الله - في جامعة دمشق لطلبة الدراسات العليا كانت في أول الموسم الدراسي الماضي. وهنيئاً لهؤلاء فهم آخر من تلقى عن هذا الجيل الحِجَّة!

ليعزّوه به، قال: دخلنا عليه ثالث يوم وفاته أو رابعه فوالله ما استقبلنا إلا ببشرٍ ورضا، واجتمعنا هناك بالدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - .

قال أستاذنا الشيخ قاسم: ووالله بعدها قد مدّ لنا مائدةً عدة أمتار فيها من مأكولاتهم الحلبية، وهو في غاية البهجة بنا، واحترام من قدم عليه.
هكذا حال أهل الله في الرضا عن قضاء الله !!

❖ من شجون العترة وشيخنا عتر :

حدثت السيدة ابنته الدكتورة راوية - حفظها الله - أن أباهما - رحمه الله - منسوب لسيد الأولين والآخرين من قبيل أبويه كليهما، قال (عتر) من ذرية السبط الحسن، وآل (سراج الدين) من ذرية السبط الحسين - رضي الله عنهما - .
وأن والده الحاج محمد عتر كان من خواص تلاميذ العلامة الجليل الشيخ العارف بالله محمد نجيب سراج الدين - رحمه الله - .
وأن والده مترجمنا الحاجة درية ابنة الوحيدة لسيدي الشيخ نجيب أخبرت أن تسمية الشيخ نور الدين كانت بإشارة من الشيخ نجيب جدّه لأمه.
والشيخ نجيب كان من أقران الشيخ بدر الدين وكانت تربطه به علاقة وطيدة، وزيارات متبادلة؛ وثبت عن الشيخ البدر قوله فيه: إن الشيخ نجيب أعلم أهل الأرض في زمانه.⁹
أعرفتم من أين جاء المسك والعطر لشيخنا نور الدين عتر !!؟

❖ من لآل كرم الآل:

فالآن حدّث عن كرم الشيخ وسخائه ولا حرج !
كثيرة هي القصص في ذلك، وقديماً قالوا: إذا عرف السبب بطل العجب!

⁹ انظر ما كتبه ابنة المترجم فهو من أوجز وأجمع ما كتب، وأهل البيت أدري بما فيه !

ولم تخل كلمة نثراً وشعراً عن الشيخ في رثائه هنا وهناك إلا وطُيبت بأخبار عن كرمه وجوده - شأيب الرحمت على جدته المطيب - .

وأسمع في الشام قولهم: إذا قال لك واحد: أنا من أهل البيت ثم لم تجده كريماً فلا تصدقه !!

❖ جده في الطاعات:

رافقته عدة مرات في أوبته إلى بيته من صلاة الجماعة في جامع ظبيان، وقبل مدة كان يتعنى وربما يهّم بالسقوط لضعف حركة رجليه، ولا يكل ولا يمل! واشتهر أنه لا يترك النافلة مع الفريضة ويأتي بأدائها لئلا تفوت! ومرة صليت عن يمينه في جامع ظبيان، وجامع الشمسية ولاحظت نزوله وهويته إلى السجود فكان في بطء شديد وكنت أسايره خشية أن يقع فأحظى بإسناده! وجثوت مرة بين يديه على يديّ ورجليّ، وقلت: يا ليتك ترضى أن تجلس على ظهري وأحملك !! رضي الله عنه وأرضاه، ونفعنا بركاته آمين.

❖ من يتعاهد زيارتهم :

كثيرة هي زيارات الأخيار المشهورين. ومن أصحاب المقامات؛ كان يتعاهد زيارة سيدنا الشيخ أرسلان الدمشقي يوم الثلاثاء، وزيارة لسيدنا الشيخ الأكبر سلطان العارفين محمد محيي الدين، وزيارة الصحابي الجليل دحية الكلبي - رضي الله عنه - في حي (المزة)؛ إلى أن صار يقف في سيارته عندما ضعّف عن الدخول والخروج!

ومن خلال الكرام وشمائلهم الثبات على الوظائف الكريمة؛ إذ عرفوا أن عمله - صلى الله عليه وسلم - كان ديمة، وأن حسن العهد من الإيمان!

هذا هو السِّر: التأسّي بالنبي البدر الذي نالوا به علو القدر، وعظّم الأجر!

❖ حظُّ الشَّيخ من طيبة الطَّيِّبة:

مُتَّع سلالَةَ العترة - رحمة الله عليه - بإقامة في المدينة المنورة دار جده الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - حين عُيِّن مدرساً لمادة الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية¹⁰ من سنة 1965 م إلى 1967 م ومن بركة المكان وشرف المكين حَقَّق فيها كتاب (علوم الحديث) للإمام ابن الصلاح¹¹ وكان من أجود وأحكم وأهم تحقيقاته، وهو بحق كرامة في دار أكرم الخلق أجمعين المكرمين على رب العالمين.

❖ قصة في اليقين:

حدثني أخي الكريم أبو يحيى محمد عاشور - حفظه الله - سبط المعتقد العارف بالله الشيخ يحيى الصباغ - رحمه الله - قال: التقيت مرة بالشيخ نور الدين فعرفته بنفسه، وقلت له: أنا سبط الشيخ يحيى الصباغ، ففرح وهشَّ في وجهي وقال: (روح لا تخاف!) قال أبو يحيى: فذهبت إلى شركة المخابز وكنت محتاجة لرخصة تمكيني من أخذ مئتي (ربطة) خبز لمجلس الصلاة على سيدنا رسول الله، ولما طلبت أعطوني وتيسر الأمر فعلمت أن هذا ببركة ودعاء الشيخ نور الدين !!

❖ رؤيا لي قبل شهر:

قبل بضعة أشهر رأيت الشيخ - رحمة الله عليه - وأمامه جملة من الناس وكأن غالبهم من الطلاب وبين يديه كتاب، وقد فتح على صحيفته الأخيرة، ورأيت مقابلها جملة من الأسماء، وتحتها توقيعاتهم، ثم أشار إلي - رحمه الله - قائلاً: وقِّع هنا!!

¹⁰ وقد قدَّر الله لكاتب هذه السطور الإقامة أيضاً في المدينة المنورة أربع سنوات وقد تخرجت في هذه الجامعة سنة

1404 هـ - 1984 م في كلية اللغة العربية، فسقى الله تلك الأيام، ورزقنا شفاعته عليه الصلاة والسلام.

¹¹ ذكر ذلك الدكتور محمد عيد وفا المنصور في ترجمته.

نهضت مشفقاً، وقد قصصتها بعد يوم أو يومين على أخي الأستاذ محمود البوطي، وقد وصلت الرؤيا لولد شيخنا (يحيى) في تركية فقال لي: كنا ندعو بعدها لوالدي بطول العمر؛ ولكنه الأجل المحتوم!

ومرة في ساعة سرور ناولني الشيخ - رحمة الله عليه - كتابه: علوم القرآن الكريم - الطبعة السادسة ١٤١٦ هـ - وقد خطّ على صحيفته الأولى بخطٍ يرجف: بسم الله الرحمن الرحيم هدية مقدمة إلى الأخ الدكتور ياسر قضماني مع الإجازة بكل ما يحقّ لي روايته. ووقع.

كان ذلك في غرة جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ فقلت في نفسي: قليلٌ منك يكفيني، قليلك

لا يقال له قليل!

❖ أريد أن لا أريد:

في أخريات الأيام، انتاب الشيخ ما ينتاب الأكابر من اختصار اللقاءات، وقلة الحديث؛ على أنه كان لا يكتب ولا يقول إلا ما ينفع. قال لي الأخ محمود البوطي: مرة قلنا له: تريد شيئاً؟ - وكان في تعب وعناء- فقال: أريد أن لا أريد!

قلت هذا حال الكُمَّل وقد أثرت مثل هذه العبارة عن كبار الأولياء! ومما رأيته في (الرسالة القشيرية) في باب الإرادة: المرید في هذه الطريقة: من لا إرادة له؛ فما لم يتجرد عن إرادته لا يكون مریداً، كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مریداً. انتهى كلامه

أقول: فالذين (يريدون وجهه) عند الصوفية هم الذين لا اختيار لهم، فهم يشهدون كمال التوحيد، وأن الرب يقلبهم كيف يشاء، وهم في قبضته ما خرجوا عن إसार العبودية، وذلها، وهم متعززون بها في الوقت نفسه!

❖ الآن وقت الجد:

تكلم بعضهم معه وأراد أن يشغله في أواخر الأيام فقال: الآن وقت الجد!

أي انتبهوا أنا راحل، لا تشغلوني بما تشغلون به أنفسكم!

فيا ليتنا نجعل أوقاتنا كأوقات هؤلاء؛ إذاً لسعدنا في الدارين!

❖ شراء الكفن:

قبل حوالي أربع سنوات من الوفاة المفجعة، اشترى الكفن بطلب من الشيخ - رحمه الله - إذاً هو في شوق إلى لقاء ربه على عادة الأخيار أهل الأنوار من تلك المدة بخاصة.

❖ (الأربعاء) البدء والختام:

ومن الموافقات العجيبة أن الشيخ - رحمه الله - ولد في يوم الأربعاء ١٧ من صفر وتوفي ودفن في يوم الأربعاء ٦ من صفر، ولئن ذكر كثيرون أن آخر أربعاء من صفر ينزل فيه بلاء، ويهيِّجون الناس لرفعه. فقد كان بدء الشيخ وختامه في صفر لتأنيسه، ورفع بلائه !!

❖ وحلَّ الأجل المحتوم:

وقدَّر الله وفاة الشيخ وقلنا: إنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا ما يرضي ربنا، وعوَّض الله الأمة خيراً، وسكب في قلوب أهله وطلابه وأحبابه مزيداً من الرضا. وعندما دَلَّينا الشيخ في قبره المنور في غرفة ضمت الأخيار من أهل الأنوار بجوار ثلثة من الأكابر على رأسهم الشيخ أرسلان؛ شعرنا بعظيم المصائب بفقد وارث أحب الأحاب ! فجبَّرتنا الله وجبر الأمة بحرمة من يكشف الله به الغمة !

❖ رؤيا فخيمة:

بعد يوم من وفاة الشيخ - رحمة الله عليه - رآه أحد المحبين والمعتنين بالحديث أنه تجاه سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقرأ الصحاح فقرأها، ثم شرع في قراءة الشمائل ثم أتمها، ثم ختم بقراءة البردة الشريفة ! وتعبيرها في غاية الظهور، وهي محشوة بالنور !

ورأيت - كاتب هذه السطور - صبيحة دفنه - رحمه الله - أتيّ انكبت عليه وهو جالسٌ وناصبٌ ساقه اليمنى، فقبّلت ركبته، وأهويت على رأسه وقبّلته في بهجة، وخلفي عددٌ يريد أن يسلم أيضاً.

وقد شاء الله أن أحمل من جهة قدميه حين إدخاله الغرفة المبرّدة قبل التجهيز، وأن أحمل من جهة قدميه حين رفعه ليدلّي في القبر، فهنا تناسبٌ بين اليقظة والمنام !
تبتّ الله الأقدام يوم الزحام بجرمة المظلل بالغمام !

❖ من ثناء الأكاير:

أثنى العلماء والصلحاء على خلاصة الأتقياء والأوفياء ورثوه نثراً وشعراً وقد سمعت وسمع كثيرون مساء الخميس الماضي سيدي العلامة الداعي إلى الله تعالى الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم - نفعنا الله به - في مصلى أهل الكساء في دار المصطفى بترميم الغناء خلاصة حضرموت في محضرٍ من صفوة وجهائها ونقاوة طلابها الرثاء والعزاء بالشيخ ومما قال سيدي:

علمٌ من أعلام المسلمين الشيخ نور الدين عتر عليه رحمة الله تبارك وتعالى في الشام، وكان من أهل العلم الذي تربي في سَنَد العلم وأدب العلم والخضوع والخشوع والإنابة. انتهى
وكنت مرات نقلت للشيخ - رحمه الله - سلام سيدي الحبيب عمر، وسؤاله عنه، ونقلت للحبيب سلامه.

وقد زار الشيخ - رحمه الله - تريم حضرموت وابتهجوا به وابتهج بهم، ولما نزلت تريم بتُّ في الغرفة التي أضافوه فيها.

❖ من روائع ما قيل في رثاء الشيخ شعراً:

اخترت لكم مما قيل في الشيخ - رحمه الله - نظماً قصيدة أخين المبارك الشيخ عبد الله رحال - حفظه الله - أحببت أن أثبتها كاملةً :

أَصْبَحَ الْقَلْبُ مِنْ جَوَاهُ عَلِيلاً
عَظُمَ الْخَطْبُ فِي فِرَاقِكَ مَوْلاً ..
فَدَرَفْنَا دَمْعَ الْأَسَى وَوَلَوْ أَنَا
وَدَعْنَتِكَ الشَّامُ تَكَلَّى وَلَكِنْ
فَعَسَاكُمْ يَا سَيِّدِي فِي جَنَانِ
هَاتِ خَيْرَ يَا سَيِّدِي عَنْ لِقَاءِ
هَلْ لَقَيْتَ السَّرَاجَ فُطِبَ الْمُعَالِي
أَلْتَقَيْتُمْ بِمُسْلِمٍ وَالْبُخَارِي
فَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَدِيثِ إِمَامًا
كَمْ سَأَلْنَا إِلَى الْعُلُومِ سَبِيلًا
مَنْهَجَ النَّقْدِ شَاهِدٌ وَسِوَاهُ
وَبِإِعْلَامٍ لِلْأَنَامِ أَجْدُتُمْ
كُنْتُ نُورًا لِلدِّينِ حَقًّا فَكَمْ مِنْ
طَبَّتْ مِنْ دَوْحَةِ الْمَكْمَلِ غُصْنَا
رَبِّ فَارْحَمَهُ وَارْضَ عَنْهُ وَزِدْهُ
وَشَأْيِبَ الْفَضْلِ صُبَّ عَلَيْهِ
وَعَلَى خَيْرِ أَنْبِيَائِكَ طَهَّ

حِينَ أَرَمَعْتَ يَا إِمَامَ الرَّحِيلَا
.. يَ وَطَرِنِي عَادَ إِلَيَّ كَلِيلَا
فَدَّ سَكَبْنَا الدِّمَاءَ كَانَ قَلِيلَا
فِي رِحَابِ النَّبِيِّ بَتَّ نَزِيلَا ﷺ
وَ فَطُوفٍ قَدْ ذَلَلْتَ تَذْلِيلَا
بِالشُّيُوخِ الْكَرَامِ يُرْوِي الْعَلِيلَا
وَرَأَيْتَ الْجَدَّ النَّجِيبَ النَّبِيلَا
أَوْ رَأَيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ قَبِيلَا
ثِقَةً حُجَّةً وَشَيْخًا جَلِيلَا
فَوَجَدْنَا لَدَيْكُمْ سَلْسِيلَا
مِنْ طُرُوسٍ غَرَاءَ تُرْوِي الْعَلِيلَا
فَفَهَمْنَا الدَّلِيلَ وَالتَّعْلِيلَا
حَائِرٍ قَدْ هَدَيْتُمُوهُ السَّبِيلَا
طَبَّتْ مِنْ عَثْرَةِ النَّبِيِّ سَلِيلَا
عَايَةَ الْعِزِّ إِذْ أَتَاكَ ذَلِيلَا
ثُمَّ زِدْهُ مِنْكَ عَطَاءً جَزِيلَا
صَلِّ يَا رَبِّ بُكْرَةً وَأَصِيلَا

فرحمة الله عليك يا نسل السَّبْطَيْن، ويا خادم الوَحْيَيْن، وجمعنا الله بك بجاه سيد الكونين،
أمين أمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

روجعت في مساء السبت ١٦ من صفر ١٤٤٢ هـ

الموافق ل ٣ / ١٠ / ٢٠٢٠ م

دمشق الشام